أَثَرُ الاتِّجَاهِ النَّفْسِيِّ فِي انْحِرَافِ التَّنَاصِّ الدِّينِيِّ عِنْدَ الشَّاعِرِ أَحْمَدَ مَطَر..(رُؤيَةٌ وَصْفِيَّةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ)

The Effect of Psychological Attitude on the Deviation of Religious Intercourse in Ahmed Matar›s Poetry (Descriptive and Analytical Perspective)

عَطِيَّة مَحمُود حَسَّانِين
أستاذ مساعد /جامعة الأزهر/ مصر

Atia Mahmoud Hassanin
Assistant Professor, Al-Azhar University, Egypt.
Ammohammad@ju.edu.sa

تاريخ الاستلام: 6/ 10/ 2019م، **تاريخ القبول:** 3/ 5/ 2020م.
E-ISSN: 2616-9843
P-ISSN: 2616-9835

Received: 6/ 10/ 2019, **Accepted:** 3/ 5/ 2020.
DOI: 10.33977/0507-000-053-002
https: //journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

ملخص :

تتبعت هذه الدراسة أثر الشحنة النفسية في انحراف التناص الديني عند الشاعر أحمد مطر ، ولقد قامت – في منهجها– على مواجهة النصوص الشعرية والبحث عما تنطوي عليه نفسية صاحبها، وما لديه من بواعث تؤهله لأن يكون ساخراً أو غاضباً أو يائساً ، وسلطت الضوء على نفسيتي الشاعر والمتلقي معاً ، وما يمكن أن تثيره النصوص المتفارقة والمتحاورة من مشاعر وأحاسيس ، غير مشاعر الضحك والاستهزاء حيناً ، والألم والحزن أحياناً ، والحماسة والمقاومة حيناً آخر ، وبحثت في استعدادات الشاعر لتلقي ما ترمي إليه النصوص المنحرفة ، وحاولت متابعة ما يحدث له من مادة إدراكية حول علاقة الواقع بالنظريات النفسية ؛ لتستظهر ما وراء الإدراك الخارجي من الناحية النفسية.

الكلمات الدالة: الاتجاه النفسي ، التناص الديني ، الانحراف ، أحمد مطر، رؤية وصفية ، رؤية تحليلية.

Abstract:

This study traces the impact of psychological charge in the deviation of religious intercourse of the poet Ahmed Matar. The study analyzed the poems to reach the psychology of the poet and the incentives that qualify him to be sarcastic or angry or desperate, and highlighted the psychology of the poet and the recipient as well. The study also investigated how these interactive poems have produced different feelings other than laughter and mockery at a time, pain and sadness at times, and enthusiasm and resistance at another time. Moreover, the study examined the poet›s ability to receive the meanings of deviant poems, and tried to trace what is happening to him perceptually regarding the relationship between reality and psychological theories.

***Keywords**: Psychological attitude, religious intercourse, displacement, Ahmed Matar, descriptive Perspective, analytical Perspective.*

مقدمة :

الحمد لله الذي لا يليق بالحمد أحد سواه ، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه ، أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، ونزَّه نبيه عن الشعر والتأويل . .. وبعد

فمما لا يحتاج إلى إنكار أن للعوامل الخارجية تأثيراً إيجابياً أو سلبياً على الجوانب النفسية للشاعر ، بل على تعبيره وتذوقه واختياره للكلمات وتركيبه للجمل حسب ما يجد صداه في نفسه .

فبين قداسة النص الديني وتنزيهه، ومقاصد الإبداع في الشعر المعاصر وما يتحقق بينهما من تداخل، إثر تناص أو تضمين أو اقتباس شيء من كتاب الله تعالى أو سنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – في السياق الشعري ، تبرز لنا إشكالية مهمة في علاقة الشعر بالعقيدة ، والمساحة المتاحة للشاعر في هذا المضمار، وخاصةً في هذه الأيام التي تطور فيها الشعر العربي الحديث وتزيَّن بأنواع التناص المختلفة ما بين الأسطوري ، والتاريخي ، والديني وبخاصة ما يُسمى في الأخير بالتناص القرآني ، نظراً لتعامل الشعراء مع القرآن والأخذ منه بصور وأشكال مختلفة لكل منها جوانبه السلبية والإيجابية من جهاته اللفظية والمعنوية، فتطاول كثيرون منهم على قداسة لغة القرآن الكريم ومضامينه ، ووقعوا بقصد أو بغير قصد في امتهانه ، غافلين عن كونه كتاباً محفوظاً له حدودٌ يجب مراعاتها عند تفسير نصوصه أو ترجمتها .

أهمية الدراسة :

ترتكز هذه الدراسة على علاقة الاتجاه النفسي وأثره في انحراف التناص الديني ، وبيان الجوانب السلبية التي يقع فيها الشاعر في كثير من المزالق والامتهانات والأخطاء ؛ والعوامل التي حدت به لإغفال التقدير لكتاب الله عز وجل وسائر أنبيائه ورسله عليهم السلام ، وإدراك ما فعلته الحداثة الغربية ودعواتها الهدامة المشككة التي لم تبق لشيء قداسة أو خصوصية تنأى به عن معول الهدم والتشويه والتشكيك تحت عباءة حرية التعبير والإبداع ، أو تحت دعاوى التحرر الإبداعي والفكري، أو خلف لافتات التحديث ومجاراة العصر وتداخل الثقافات.. إلى غير ذلك، حتى طال ذلك كتاب المسلمين الأول، فتم اختراقه وامتهانه والتجاوز في حقه من وجوه متعددة بغرض قطع الصلة بين المسلم ودينه ، أو لغرض قضية ما، أو تشكيكه في تلك المعجزة الإلهية الخالدة التي تحدَّى بها المولى –عز وجل– فصحاءَ العرب على مر الزمان فأعجزهم.

بل أضافوا النصوص الشعرية إلى السرد القرآن، ووصفوا القرآن بالشعر، وسموا بعض قصائدهم باسم سور القرآن وآياته... وغير ذلك ، وفي غفوة من شاعرنا – لبواعث نفسية متغلبة عليه ، ونزعات مكبوتة متعارضة مع الأنا –وقع في هذه الشراك .

هدف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على الأثر النفسي ومعرفة حدوده، وبيان مخاطر بواعثه من الغضب والهم والحزن والقهر والكبت والاضطهاد على الإنسان مما يجعله غير متنبه لخطورة الأمر، وإذا تنبَّهَ غلبته المقاومة ، ومدى ارتباطها بالسيرة الأخلاقية التي تتحول إلى دراسة سيكولوجية أو تشخيصية أو تحليلية ، وبيان ذلك في نماذج متعددة من الشعر، بحثاً عن الوصول للغاية المثلى في التعاطي مع النص الديني، والاستغلال الأمثل للتفاعل مع الأساليب الدينية والألفاظ القرآنية .

منهج الدراسة :

اعتمدت في دراستي لهذا البحث على المنهجين النفسي والفني، للإسهام في الكشف عن هذه الظاهرة، واستحضار العلاقة الوطيدة بين الجانب النفسي، والجانب الفني الأدبي.

الدراسات السابقة :

هناك دراسات كثيرة حول الشاعر أحمد مطر، منها:« شعرية السرد في شعر أحمد مطر » للباحث عبد الكريم السعيدي ، و« الخطاب الشعري في لافتات أحمد مطر » للباحث محمد وليد محمد

، و« التناص في شعر أحمد مطر » للباحث عبد المنعم جبار عبيد ... وغيرها من الدراسات التي تتجاوز عشرين بحثاً وأطروحة، ظهرت بعضها في صلب هذا البحث ، إلا أن الدراسات السابقة لم تتناول أثر الجانب النفسي عند أحمد مطر في انحراف التناص الديني خاصة ، وظهور الأنا وأثر الهو في مضامينه أو إيحاءاته .

حدود البحث :

في سبيلي لهذه الغاية جاء البحث في مقدمة، وثلاثة محاور، وخاتمة، بَيَّنْتُ في المقدمة دوافع اختيار هذا الموضوع، وأهمية دراسته، وتقسيمه، وفي المحور الأول: (حياة قلم) تناولت التحليل النفسي لشخصية مطر وفق حياته الأدبية، ودرست في المحور الثاني: (عوامل التأثير النفسي)، وبَيَّنْتُ في المحور الثالث: (الجانب الفني)، وفي الخاتمة عرضت أهم النتائج والتوصيات التي استخرجتها من البحث، والله أسأل أن أكون قد وفقت فيما عرضت .. فهو حسبي ونعم الوكيل .

المحور الأول: (**حياة قلم**)

التحليل النفسي لشخصية مطر وفق حياته الأدبية

أحمد مطر، شاعر عراقي، له تسعة من الإخوة والأخوات، وهو الرابع بينهم، وهو شاعر فحل، ثريٌّ بفكره ولغته وصوره، من شعراء النضال والثورة استطاع بقلمه أن يخلق المقاومة، ولد سنة 1956 م ، في قرية التنومة، إحدى ضواحي شط العرب في البصرة، عاش فيها طفولته قبل أن ينتقل مع أسرته في مرحلة الصِّبا، لتقيم عبر النهر في محلة الأصمعي(مطر،2011 :41).

فمكان مولده وصباه تتضح فيه بساطة القرية من بيوت الطين، وأشجار النخيل، والأنهار والبساتين، مما يؤكد صفاء نفسه، وسلامة فطرته، ولكن سرعان ما غرقت بلاده في الاحتلال الذي يدمر الأخضر واليابس، فألقى بنفسه في دائرة المقاومة لما كشفته له نفسه من خفايا الصراع بين السلطة والشعب، فدخل المعترك

شُكـراً عَلَـى التَّأبِـين وَالإطـرَاءِ ... المَوْتَـى ، وَنَاجِـي آخِـرُ الأَحْيَاءِ

عَفْـواً ، فَـإنِّي إنْ رَثَيْـتُ فإنَّمَـا ... أَهْلُ الكروشِ القَابِضِينَ عَلَى القُرُوشِ

أَرْثِـي بِفَاتحَـةِ الكِتَـابِ رِثَائِـي ... مِـنَ العُروشِ لِقتْـلِ كُلِّ فِدَائِي

عَفْـواً ، فَـإنِّي مَيـتُ يـا أَيُّهـا ... الهَارِبِـينَ مِنَ الخَنَـادِقِ وَالبَنَادِقِ

وهي قصيدة طويلة يعيش فيها الشاعر مأساةً داخلية حقيقية تتمثل في الهم والحزن والاضطهاد، وسيطرة فكرة العدم ، ومأساة خارجية تتمثل في هموم الأوطان والأمة، وطلب الكرامة والعدالة، والمقاومة والنضال، وسيطرة فكرة العجز حين يشعر أنه لا يؤثر في الآخرين، لذا تتحكم العوامل الخارجية في الشحنة النفسية التي تصنع القرار أولاً .

ومنذ عام 1986 استقر أحمد مطر في لندن، ليمضي الأعوام الطويلة بعيداً عن وطنه ، فكان الاغتراب عاملا من العوامل المؤثرة نفسياً عليه ، فعاش في صراع نفسي مع الحنين والأسى والحزن مُرَسِّخاً في كل لافتة يرفعها وصيته النضالية .

السياسي بإلقاء قصائده في المحافل العامة؛ ولذلك لم تدعه السلطة يهنأ بعيش .

الأمر الذي اضطر الشاعر في النهاية إلى توديع وطنه ومرابع صباه متوجهاً إلى دولة الكويت هارباً من مطاردة السلطة، وفي الكويت عمل أستاذاً للصفوف الابتدائية في مدرسة خاصة، حيث مضى– خلال تلك الفترة وكان آنذاك في منتصف العشرينيات من عمره – يُدَوِّنُ قصائده التي أخذ نفسه بشدة من أجل ألا تتعدى موضوعاً واحدا ، وراح يكتنز هذه القصائد، وكأنه يدوِّن يومياته في مفكرته الشخصية ، ولكنها سرعان ما أخذت طريقها إلى النشر، فكانت جريدةُ القبس التي عمل محرراً ثقافياً لها، الثغرةَ التي منها عادت أفكاره النضالية مره ثانية في انطلاقة شعرية انتحارية ، حيث سُجِّلتْ لافتاته دون خوف، وأسهمت الجريدة في نشرها بين القُرَّاء، وفي رحاب القبس عمل مطر مع ناجي العَلِيّ الرسم الكاريكاتيري، ليجد كل منهما في الآخر توافقاً نفسياً، فقد كان كلاهما يعرف أن الآخر يكره ما يكره، ويحب ما يحب قلبياً دون التصريح، فكثيراً ما كانا يتوافقان في التعبير عن قضية واحدة دون اتفاق مُسبق، فالروابط التي كانت بينهما تقوم على الصدق والعفوية والبراءة، ووحدة الشعور بالمأساة، ورؤية الأشياء بعين مجردة بعيدة عن مزالق الإيديولوجيا وانغلاقات الأقطاع الطاحنة للشعوب من قبل خذلان حُكَّامها وضعف قوتهم ؛ لذلك سرعان ما تكررت المطاردات والاضطهادات من السلطات؛ فزادت مأساة الشاعر، وتأثرت نفسه الصافية، حيث إن لهجته الصادقة، وكلماته الحادة، ولافتاته الصريحة أثارت حفيظة مختلف السلطات العربية، مثلما أثارتها ريشةُ ناجي العلي في جريدة القبس؛ الأمر الذي أدَّى إلى صدور قرار بنفيهما معا من الكويت، حيث ترافق الاثنان من منفى إلى منفى، وفي لندن فَقَدَ أحمدُ مطر صاحبَه الذي اغتيل بمسدس كاتم للصوت، فظل بعده نصف ميت، وعزاؤه أن ناجي ما زال معه نصفه الحيّ؛ لينتقم من قوى الشر بقلمه ، فقال يرثيه في قصيدة حزينة بعنوان «ما أصعب الكلام»:(مطر،2011 :6 – 9)

وينشر حالياً في جريدة الراية القطرية تحت زاوية «لافتات » و «حديقة الإنسان» بالإضافة إلى مقالات في « استراحة الجمعة ».

وتحمل لافتاته كل معاني النضال والثورة ضد الفساد، وعدم الحرية والظلم، مطالباً بالمساواة، ومقاومة القمع السياسي والشمولية وغيرها من الديستوبيات التي أمرضت الشعوب العربية وأصابتها بفوبيا الاستسل ام؛ فأضعفت كيانها في الأوساط العالمية .... تحمل هذه اللافتات انحرافاً من الشاعر أحمد مطر في الاقتباسات القرآنية والعقائدية متأثراً بما أصابه من أثر نفسي انصدع به كيانه الوجداني، وظهر صدى ذلك في ديوانه الشعري،

فحملت كلماته التي في قصائده والمعاني التي حوتها لافتاته تصريحاً وتلميحاً لذلك، وإن كانت ناصرته نظرية «الفن للفن»– الداعية للشعر الخالص– بما تمنحه من حرية لرُوَّادها، ولكن لا ينبغي أن نغالي فيها، فالدرس الأخلاقي من أهم مقاصد طبيعة الأدب ووظيفته، وأما التغيير الذي يعتري هذا الدرس فهو تغيير في وجوه الإنسانية، فالفن لا يمنع الأدب أن يكون هادفاً وبناءً ومفيداً وخلَّاقاً في آن واحد .

ومن أهم الدوافع النفسية التي ترتب عليها غياب «الأنا» في بعض الأحيان عند مطر، فقدان صديقه ناجي العلي ، وظهور معترك نفسي في معاني لافتاته وألفاظها وتراكيبها، ألجأته إلى نقائض ومفارقات وانحرافات قرآنية .

ولقد لقبه بعض الكُتَّاب بملك الشعر فقال: « إن كان أحمد شوقي هو أمير الشعراء، فأحمد مطر هو ملكهم »(مطر،2011 :5).

فالأهمية الأولي – بجانب الدراسة النفسية لأي شاعر – تكون لمقاصد العقيدة، ورؤى الدين، وهما نظام متراكب ، وأجزاء متكاملة، وهما في أمَّتنا أساس الأدب وقواعده، وأفضل أوجه الدراسة الحديثة – من وجهة النظر الخاصة – هو مجانبتنا للتفكير الحر الذي يفقدنا هويتنا ، إن كنا نتفق أن هناك اختلافات قومية، وحواجز عقائدية ، ومفارقات اجتماعية بين الأمم، ليست حدود جغرافية وتصنيفات لغوية فحسب، «إن الدين والأخلاق والشعور الاجتماعي– وهي العناصر الأساسية لما هو أسمى ما في الإنسان – إنما كانت في الأصل شيءٌ واحدٌ»(فرويد، 1982 :61).

فمع اعتلاء الشاعر قمة أنواع التناص ، وهو التناص الديني، إلا أنه أحضره في صور مخالفة، مُطلقاً العنان بلا حدود للزمان، أو المكان، أو الأجناس، أو الأعراف، أو التقاليد الدينية حاملاً حالة من الانفتاح تحت تأثير النزعات والرغبات المكبوتة التي تعكس أحاسيسه وخيالاته .

وقد تشير هذه المخالفات والانحرافات إلى تناقض وجداني عند الشاعر، وهذه ظاهرة أساسية ناتجة عن المزاج العصبي الخاص أو الشعور الجمعي .

المحور الثاني : عوامل التأثير النفسي

إن التفسير النفسي يمكنه المطابقة بين حياة الشاعر الواقعية، وأحاسيسه الداخلية، وأعماله، إذ ليست العلاقة بين حياة الشاعر الخاصة وبين أعماله مجرد علاقة السبب بالنتيجة أو الجزء بالكل، فالأحاسيس والآراء والفضائل والرذائل في أعمال الشاعر، تنطبق على «الأنا» التي تتحدث عنه في القصيدة، فالعمل الفني يجسد حياة الشاعر الواقعية والسلوكية، أو قد يكون القناع أو الحلم أو الذات الضد (anti-self) التي تختفي وراءها شخصيته الحقيقية، وهذا بلا شك ما نلحظه في أشعار أحمد مطر، مما يؤكد أن هناك عوامل أثَّرتْ في تقلبات الشاعر الدينية، دعته إلى «الهو» وعدم الامتثال «للأنا الأعلى»، مما جعله بين لوم واستقامة حينا، وخارج نطاق الاستقامة حينا آخر، تمور به حركات كثيرة ودوافع تجعله مضطرباً، محاولاً كسر القيود التي ظلت عالقة في قلبه .

من أهم هذه العوامل النفسية المؤثرة في انحراف التناص الديني عند أحمد مطر :

1. الرفض: (Rejection)

عاش أحمد مطر رافضاً للواقع الذي يحمل الذل ويدعو إلى المهانة، رافعاً الاستقلالية والخروج شعاراً، يتحمَّلُ الوقوف منفرداً، مخالفاً لثرثرة الآخرين ، لتظهر هنا النرجسية في كثير من نصوصه، أعني «حالات الإعلاء والتسامي بواسطة الأنا» (فرويد، 1982 :50).

وفيه يتحايل «مطر» على النص القرآني ليصنع نصاً جديداً يُضاهي قضيته الواقعية، المعبرة عن المؤامرات الرخيصة الخادعة، رافضاً الاستكانة، مُعلناً (أنا اللهيب)، فلن تُعيدَ العروبةَ المؤتمراتُ الباردةُ التي تعج بالمصالح الشخصية، فيقول في قصيدة بعنوان « عاش .. يسقط»: (مطر،2011 :27)

يا قدسُ معذرة ومثلي ليس يعتذرُ
ما لي يدٌ في ما جرى فالأمرُ ما أمروا
.....
وأنا اللـهيبُ ... وقادتي المطرُ
فمتى سأستعرُ ؟!
....
وأقداحٌ يُعَرِّشُ فوقها الخَدَرُ
وموائدٌ من حولها بَقَرُ
... ويكونُ مؤتمرُ!
هزيٌ إليك بجذع مؤتمرٍ
يُسَاقط حولك الهَذَرُ
عاش اللـهيبُ
... ويسقطُ المطرُ!

يصنع الشاعر هنا صورة شعرية، معززاً إياها بالنصوص القرآنية دون حذر منه للانحراف، معتمداً على الإيقاع القرآني لحرف الراء الوارد في سورة «المدثر» مما له من انتشار صوتي واسع، واستغلاله كقافية لمقطوعته الشعرية، خالطاً بينها وبين سورة مريم ، وكأنه يريد أن يجعل لنفسه مرجعية تراثية .

فالرفض من القضايا النفسية التي شغلت الشاعر، والرفض في المنظور النفسي، هو: «إمكانية تملك الرغبات لدى الفرد تدفعه إلى المطالبة بحقوقه، مما سيقوده إلى الاصطدام بواقعه وعدم الاعتراف به من جهة، وعدم الاستسلام والتنازل عن نفسه من جهة أخرى» (لا بلاش، 1985 :262).

فالرفض مصطلح واسع يشمل: رفض الظلم، ورفض الاستسلام، ورفض الاستغلال، ورفض كل ما يبثُّ الآلام للإنسان.

وفي قصيدة أخرى يُعبر فيها الشاعر عن رفضه، عبر انحراف التناص الديني في معناه ومضمونه، يَدلُ على ذلك عُنوانُ قصيدتِه «قِلَّة أَدَب»: (مطر،2011 :13).

قرأتُ في القُرآنْ :
" تَبَّتْ يَدَا أَبي لـهَبْ "
فأعلنتْ وسائلُ الإذعانْ :
" إنَّ السُكوتَ من ذهبْ "
أَحبَبتُ فَقري ... لم أَزَلْ أَتْلُو :
وَتَبّ

" مَا أَغْنَى عَنْهُ مَا لَه وَمَا كَسَبْ "
فَصُودرَتْ حَنجَرَتي
بجُرمِ قلَّة أَدَبْ
وَصُودرَ القُرآنْ
لأنَّه .. حَرَّضَني عَلَى الشَّغَبْ !.

إن التعامل مع النص القرآني يجب أن يتسم بالحذر ، ويحتاج إلى ثقافة عالية متأنية في الاختيار الذي لا يتجاوز حدود التقديس والدين، ولكنه في هذه القصيدة التي «حاول فيها أن يقتبس من النص القرآني (تَبَّتْ يَدَا أَبي لهَب)، محاولا إعلان حالة الرفض، موضحا الصورة المقابلة التي قامت على الإذعان، بقوله (وسائل الإذعان)، تعبيراً عن الخضوع والتذلل للسلطة الحاكمة ، وقد اختار لوسائل الإذعان المقولة المشهورة (السُّكُوتُ مِنْ ذَهَب)، ... ويظل الشاعر يستمر في تناصِّه وفي رفضه أيضا ، رفض الواقع عبر آيات القرآن ، فيظل يقول (وَتَبَّ) ،(مَا أَغْنَى عَنْهُ مَا لُه وَمَا كَسَبَ)، إلا أن النتيجة الحتمية للرفض هي المصادرة، سواء مصادرة الحنجرة (الصوت)، أو القرآن (الدليل)» (الخفاجي، 2018: 198)، فكان الرفض والسخط في حالة السكوت والخنوع مُحفِّزَين لحالة المقاومة والثورة .

فالشاعر يستخدم بعض القصص التي جعلها متكئاً لرفض الخضوع والاستكانة، فيحرض أبناء الأمة على الثورة والمقاومة، معتمداً على الأنباء التي تكتظ بالأحزان والشكوى التي تغلغلت في وجدانه ووعيه، فجاء الرفض في صورة قوة وتهديد، فيقول في قصيدة «رؤيا إبراهيم» التي تشتمل على قصة فداء إسماعيل عليهما السلام: (مطر،2011 :23)

يا مَولانا إبرَاهيمْ
اغمدْ سكينَك للمقبض
واقبضْ أجرَك من أصحاب الفيلْ
لا تأخذْك الرأفةُ فيه
بدين البَيت الأبيَض
نفِّذْ رؤياك ولا تجنحْ للتأويلْ
لن ينزل كبشٌ... لا تأملْ بالتبديلْ
يا مولانا
إن لم تذبحْهُ نذبحْكَ
فهذا زمنٌ آخر
يُفدى فيه الكبشُ
بإسماعيلْ !

فالقصيدة تحمل أفكاراً تُوحي بجانب نضالي وثوري يرفض الاستكانة والخنوع، وبها أفكار أخرى غير ممنهجة من الناحية العقائدية، أو النزعات الدينية في صورة كبت لأفكار حقيقية ، كان متنفسها الوحيد انحراف الشاعر عن الأصل، كقوله: (واقبض أجرك من أصحاب الفيلْ – بدين البيت الأبيض)، مما يؤكد على ثنائية الأنا، «فبينما يقوم الأنا على الأخص بتمثيل العالم الخارجي، أي الواقع ، يقوم الأنا الأعلى على العكس من ذلك ، بتمثيل العالم الداخلي ... لكي نفهم أن الصراع الذي ينشب بين الأنا، والأنا المثالي، إنما هو يعكس في نهاية الأمر الخلاف بين ما هو واقعي، وما هو نفسي، أي بين العالم الخارجي والعالم الداخلي» (فرويد،1982: 60).

ولكي يبرهن على قضيته النضالية ، أتى بصورة جديدة من استخدام التناص القرآني، وهو تناص الضِّدُّ، فلقد استعمل قصة الفداء على عكس صورتها القرآنية ، فالحماسة جعلت الشاعر يقلب الحقائق وفق قضيته خلافاً لواقع النص القرآني، فحبُّ الوطن لا يعطي الشاعر الحق في قلب الحقائق القرآنية، وإن كان هذا يعد من صور الابتكار الجديدة لأحمد مطر .

فمن أجل أن يضفي على نصه لمسة جمالية، أو يمنحه عنصر المصداقية، يأتي مازجاً بين النصوص القرآنية وكلماته النضالية، ويخوض في السور لاستعمال الآيات القرآنية، ووضعها في غير موضعها، مبرراً ذلك بعنصره النفسي، وما يحمله من هموم الأمة والرفض للواقع ، فيقول مستخدماً الاستفهام في صورة الرفض، في قصيدة «إذَا الضَّحايَا سُئِلَتْ»: (مطر،2011 :58)

إذَا الضَّحايا سُئِلَتْ
بأَيِّ ذَنب قُتِلَتْ ؟
لانتفضتْ أشلاؤها وجَلْجَلَتْ :
بذنب شَعب مُخلص
لقائد عَميلْ

يلاحظ من خلال النص ما تحمله الأفكار من عملية الكبت ، فنذهب إلى «أن القوة التي سبَّبت الكبت وعملت على استمراره إنما تظهر لنا في أثناء التحليل في صورة مقاومة» (فرويد،1982: 27 – 28)، فعندما يعرض الشاعر النص القرآني أو يستشهد تجده غير مقصود لذاته ، وإنما أراد ظهور أفكار مكبوتة نفَّس عنها من خلاله .

2. الغضب والتمرد :(Anger and rebellion)

الغضب والتمرد من العناصر الخاصة التي أشعلت غريزة الانتقام، والثورة لتعزيز الشحنة النفسية المتجهة نحو قضية المقاومة، وهذا يؤكد وجود مراحل سابقة تحوَّل فيها الحب إلى غضب وتمرد وكراهية ، وهذا «التحول يحدث عن طريق نقل الشحنة النفسية على سبيل رد الفعل، وبهذا التحول تنسحب الطاقة من دافع الحب وتنضم إلى دافع العدوان»(فرويد،1982: 71).

فهو شاعر نضالي يعلن تمرده وغضبه صارخاً بأعلى صوته معلناً الثورة والمقاومة، يؤمن بالتمرد لا الخضوع، ويلجأ إلى المقاومة لا الهروب، يفجِّر قضايا واقعية صادقة، ومن هنا أخذ يخاطب الأمة بأسلوب ساخر غاضب ، يغلب عليه الوضوح والإيجاز والبساطة، «وقد نجح الشاعر في التماهي مع نصوص من القرآن الكريم، لخلق مفارقة بين الأجواء النفسية للآيات والجو النفسي لواقع الحُكَّام» (فؤاد، 2004: 13).

فيقول ساخراً غاضباً في قصيدة «الثَّورِ والحَظِيرة»: (مطر،2011 :21)

الثَّورُ فرَّ من حَظيرة البقرْ
الثور فرْ
فثارت العجول في الحظيرةْ
تبكي فرار قائد المسيرةْ
وشُكِّلتْ على الأثرْ
محكمةٌ ... ومؤتمرْ
فقال قائلٌ : قضاءٌ وقدرْ
وقائل : لقد كَفَرْ
وقائل : إلى سَقَرْ

فالشاعر يعيش مأساة داخلية حقيقية تتمثل في الحزن والغضب، ومأساة خارجية واقعية تتمثل في هموم الأمة، لذا تجده يقحم الآيات القرآنية – كما هنا في سورة المدثر – داخل نصه الشعري ليكسبه مصداقية .

ففي هذا النص تتضح روح الثورة والغضب، ويبدو ألمه وامتعاضه من الحُكَّام الذين يتساهلون ولا يبالون، يخدعون الناس لترويج مفاسدهم، أو للخضوع والاستسلام، محاكياً لغة القرآن، التي لا ضير، ولكنها لا تزيد السامع إلا قلقاً واضطراباً لإقحامها داخل النص الشعري، فقيرةً إلى الإبداع والجمال، أقل ما يقال فيها : استخدام غير ناجٍ للنص المقدس من اللبس والخلط .

ويستحضر في قصيدة أخرى تناصاً منحرفاً يحمل مدلولا يكسب شعره التداخل والمفارقة، متمثلا آخر سورة الكهف، صانعاً من آياتها حواراً يجريه على لسانه كي يصنع لنفسه مجْداً مقتبساً من السرد القرآني في قالبه الشعري، فيقول في قصيدته بعنوان «إعجاز» (مطر،2011 :107)

لَو البِحَارُ أصبحتْ
جميعُها دواةٌ
لو شجرُ الغابات
صارتْ جميعاً قلماً
ما نَفَدَتْ إفادتي
لدى المخَابَرات !.

«ويتميز أحمد مطر بشجاعة نادرة يفسرها بهستيريا الحرب التي تعتري أجبن الناس في ميادين القتال، فطول معاشرته للخوف جعله داجنًا بالنسبة إليه يتجاهل وجوده ويسخر منه» (فؤاد، 2004: 21).

فالشاعر – في هذه القصيدة – يجاهد في إثبات الذات «الأنا» دون الاعتراف بالعجز أو الهزيمة أو التنازل عن مبدئه الذي سلكه في المقاومة والنضال .

ويقول في قصيدة عَنونَ لها – مُتعمِّداً – بآية قرآنية، وهي لا ﴿أقسم بهذا البلد﴾ متجاوزا حدَّ التقديس والتنزيه، ليس هذا فحسب بل يعنون لها بآية من سورة (البلد)، ويتلاعب بألفاظ من سورة (الطور)، بصورة تحمل من الخلط والعبث ما يدعو الدَّاعي إلى الغضب الديني، قائلاً: (مطر،2011 :126)

والطُّورْ
والمخْبر المسعُورْ
والحَبْلِ والسَّاطورْ
ونَحْرنَا المشنُوق والمنحُورْ
خُطَى المنايا في البَرايا دائِرةْ
....
والزُّور
والحاكمينَ العور
وشعبنا المغدور
إنَّ المنايا في البَرايا دائِرةْ
.....
والسور
والوطن المأسور
والدم والدِّيْجور
إنَّ المنايا في البَرايا دائِرةْ
.....

فلقد تغلب «الهو»– في هذه القصيدة – على شخصية الشاعر، فجعل نزعته الانحرافية غالبة على أعماله الطبيعية في النص القرآني، فمن الإنسانية مراعاة طبيعة القران الكريم، «فالهو لا يقيم وزنا للمنطق والتفكير العقلاني، بل يتسم بالبهيمية التي لا تعترف بالواقع أو العقلانية» (طه ،1978).

فهو في هذه اللافتات يعبر عن حالته النفسية، وما يطرأ على ساحتها من اليأس والغضب والهم والحزن، محاولاً استنهاض الهمم، محذراً تارة ومستنجداً تارةً أخرى .

ويلتمس أحد الباحثين له عذراً فيقول في وصف استلهامه بعض نصوص القرآن وكيفية توظيفها: «وإنما كان توظيفه لنصوص وآيات ومفردات قرآنية توظيفاً جديداً ... فلم يستعمل المفردة أو النص أو القصة القرآنية لتقوية معانيه الشعرية فقط ، وإنما كان يخرج من خلال ذلك الاستعمال إلى دلالات جديدة، قد تكون دلالات مخالفة للمعاني القرآنية أحياناً؛ لأنها مبنية على أسلوب المفارقة والسخرية» (المنصوري، 2012 : 73)، ولكن هذا لا يعطيه الحق في جعل القرآن وعاء يجمع فيه الغث والثمين .

3. اليأس والاستسلام :(despair and surrender)

اليأس والاستسلام حالة نفسية تتخطى كل عناصر الإدراك الحسي الداخلي والخارجي والديني ، تزيد وتنقص حسب مقدار الأوجاع والإحباط والآلام التي تسيطر على الشاعر أحمد مطر، بسبب همه أو حزنه ؛ فتثور ثورته الداخلية وتشتعل شحنته النفسية، فيلجأ إلى استدعاء قصة دينية لتوظيفها في شعره من أجل خدمة الغرض دون مراعاة منه للمخالفة .

ففي قصيدة يملؤها اليأس بعنوان «قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن» يستحضر الشاعر قصة هجرة النبي – صلى الله عليه وسلم– ومحاولة المشركين القضاء على دعوته، مستحضراً كل ملابسات الهجرة من محاولة قتله، ثم خروجه مع صاحبه، وترك عليّ بن أبي طالب – رضي الله عنه – في فراشه، ثم سيره في الصحراء ، والغار، والعنكبوت ، والحمامة، ثم استقبال الأنصار بالدفوف احتفاءً بقدومه، فيقول محوِّراً النص تحويراً يُنافي الأصل، مُسرِّبا إلى النص القرآني كلمات لا تليق بجلاله وعظمته، سواء أكان هذا مقصودا أم غير مقصود، فهذا – من وجهة نظري – لا يعد ذكاء أو تميُّزا أو فطنة منه، وإن كان قد سبقه في هذا الشأن شعراء آخرون، فالتناص لا يمنع أي شاعر من اقتباس أو تغيير أو إعادة لا تفسد المعنى أو لتتماشى وفق متطلباته الفكرية أو الجمالية، ولكن مطر أفقد النص رونقه الديني، فقال يَائساً مُحذِّراً: (مطر،2011 :49 – 50)

لا تُهاجر
كلُّ مَن حولك غادرْ
كلُّ ما حولك غادرْ
لا تدعْ نفسَك تدري بنواياك الدَّفينةْ
وعلى نفسك من نفسك حاذرْ
هذه الصحراء ما عادت أمينَةْ
هذه الصحراءُ في صحرائِها الكبرى

سَجينَةْ

.....
وقفتْ خمَسونَ قَينةْ
حَسْبَمَا تَقضي الأوامرْ
تضربُ الدُّفَ وتشدو:
أنتَ مَجنونٌ وساحرْ !
لا تُهاجِرْ
أينَ تَمضي ؟
رَقَمُ النَّاقَةِ مَعروفٌ
وَأوصافُكَ في كُلِّ المَخَافِرْ
.....
امضِ – إن شئْتَ – وَحيداَ
لا تَسَلْ : أينَ الرِّجالْ
كلُّ أصحَابكَ رَهْنُ الاعتْقالْ !
فالذي نَامَ بمأوَاكَ أجيرٌ مُتآمِرْ
ورَفيقُ الدَّربِ جَاسوسٌ ... عَمِيلٌ للدَّوائِر
وابنُ مَنْ نَامَتْ عَلَى جَمْرِ الرِّمَالْ
في سَبيلِ الله
كَافِرْ!
نَدِمُوا من غيرِ ضَغطٍ
وَأَقرُّوا بالضَّلالْ
....
امضِ – إن شئْتَ – وَحيداَ
أنتَ مَقتولٌ عَلى أيَّة حَالْ
سَتَرى غَاراً فَلا تمْشِ أمَامَهْ
ذَلكَ الغارُ كَمينٌ
يَخْتَفي حينَ تَفوتْ
وتَرَى لُغْماً عَلى شَكْلِ حَمامَهْ
وَتَرى آلةَ تَسجيل
عَلَى هَيئَةِ بَيتِ العَنكبوتْ
تَلْقُطُ الكلمَةَ حَتَّى في السُكوتْ
...
أنتَ مَطلوبٌ عَلى كُلِّ المحَاوِرْ
لا تُهاجِرْ
اركبْ النَاقَةَ واشْحنْ أَلْفَ طِنْ
قفْ كَما أنتَ
وَرَتِّلْ سُورَةَ النَّسْف.

فلقد شغلت القضية الفلسطينية الشاعر وحازت على مساحة كبيرة من مشاعره وأشعاره ، فانطوت نصوصه على دلالات إيحائية وأبعاد نفسية، «فمن تتبع النصوص القرآنية التي تناص معها شعراء المقاومة العربية يدرك أنها تتماشى مع أجواء المقاومة وأبعادها، وما يتولد عنها من واقع مؤلم يعيشه الشعب المقاوم إلى جانب ملاءمتها لمواقف الشعراء ورؤيتهم الفكرية التي يرون الإفضاء بها؛ إذ يشكل التناص القرآني في شعر المقاومة محوراً أساسياً في نسيجه» (حمدان، 2002 : 82).

ومما يحمدُ لأحمد مطر جعله القرآن الكريم هو منهله العذب لأفكاره ، والركن الرشيد لمعانيه ، والمصدر الذي منه يستلهم سواء على مستوى الدلالة أو على مستوى الصياغة بالاتفاق أو الاختلاف؛ لما يمثله القرآن الكريم من ثراء متجدد بطبيعة معانيه أو بمفارقتها.

فالقصيدة تصور جواً مأساوياً يملؤه الخوف، وتعكس ما يعانيه الشاعر من إحباط ويأس مع إصرار عميق منه على أن يكون مستقلا يعبر عن نفسه وتجربته بصدق ومواجهة وحرية، فيقارن بين حادثة تاريخية وبين وضعه الحالي، لما بينهما من أسباب متشابهة وأهداف .

وتحمل القصيدة – أيضاً–معنى الاغتراب المشترك ، يعانيه داخل نفسه ومجتمعه ، ففقدان الوطن والمطاردة والاضطهاد يُعدُّ اغترابا، سواء أكان اغترابا حسيا أم معنويا، فـ «الاغتراب معنى اجتماعي لا يمكن أن يتم من دون مشاعر نفسية» (خليفة، 2003 :32)، وفيها أيضا شكوى مبطنة يبثها الشاعر ليفضح بها تصرفات أنظمة القمع التي تمنعه حتى من الحراك أو التفكير بصوت مجهور .

وفي قصيدة «الأمل الباقي « يَمتَعِضُ الشاعر من الحُكَّام، ويأس من أمرهم، ويموت الأمل الباقي عنده، فيطوف خياله خارج نطاق التقديس، فيتخطى مقاصد العقيدة، ويفوح بعطر المعاني القرآنية فيقول: (مطر،2011 :123)

وَدَعَوْنَا أنْ تَمُوتُوا
فإذَا بالموتُ منْ رُؤيَتكُمْ مَيْتٌ
وحَتَّى قَابضُ الأرواحِ
منْ أرْوَاحِكُمْ مُنْقَبِضُ
وَهَرَبْنا نَحْو بَيتِ الله منْكُمْ
فَإذَا في البَيت ... بيتٌ أَبيضُ
وإذا آخرُ دَعْوانَا... سلاحٌ أَبْيَضُ

يبلغ اليأس مداه، والمأساة ذروتها في وجدان الشاعر عندما يتداعى الخيال ، ويرسم صورة الموت من أجل تحقيق الأماني ، ولكن أنَّى له ذلك في ظل أنظمة قمع ظالمة ، تلحق التهم ، وتسلب الحقوق .

ومن قصائده التي تحمل اليأس ، قصيدة «القرصان " التي حاكى فيها قصة النبي – صلى الله عليه وسلم – في رحلة الإسراء، خارجاً على النص متأثراً بديناميته العقلية[1]، فيقول: (مطر،2011 :25)

بَنَيْنَا من ضَحايا أمْسنَا جسرا
وقَدَّمْنا ضَحايَا يَومنا نَذْرا
لنلْقَى في غَدٍ نَصْرا
وَيمَّمنَا إلى المَسْرَى
وكدنَا نَبلغُ المسْرَى
وَلكن قامَ عَبدُ الذَّات
يَدْعو قائلاً : صَبْرا
فَألْقَينَا بِباب الصَّبْر قَتْلانا
وَقُلنَا : إنَّه أَدْرَى
.....
وعَبدُ الذَّات
لم يُرجِعْ لَنا من أرضنَا شبرا

(1) الدينامية العقلية: تعني التفاعل بين القوى والدوافع المختلفة في الإنسان، وما ينتج عن ذلك من تأثير في السلوك. انظر: فرويد، سيجمند، الأنا والهُو، صـ 27.

ولمْ يَضْمَنْ لِقَتْلانَا بِها قَبْرا
ولمْ يُلْقِ العِدا في البَحْرِ
بَلْ أَلْقَى دمَانا وَامْتطَى البَحْرَا
فَسُبْحَانَ الذي أسْرَى
بِعَبْدِ الذَّاتِ

فهو يستحضر بهذه القصة صورةً معاصرة أراد التعبير عنها بأسلوب معاكس لما جاء في الأصل، وكأنه يعقد مقارنة بين الماضي والحاضر في صورة سلبية، وهو أسلوب يرفضه النقد الديني، إلا أن الشاعر عبَّر عن يأسه، واستهجن المستعمر، ولام أبناء وطنه على الغدر والخيانة (لم يُرجِعْ لَنا من أرضنَا شبرا – أَلْقَى دمَانا وَامْتطَى البَحْرَ)، ويُبدي ألمه إلا أن النصوص المعبرة قابلة للنقد؛ لعدم مناسبتها لموقفها الغائب، ومخالفتها له شكلا ومضمونا .

فنجد أحمد مطر يجنح أحيانا إلى أفكار تتعلق بضرورات دينية، يجب عليه أن يتجنبها ، كعملية التشخيص لذات النبي – صلى الله عليه وسلم – ووصفه بعبد الذات في الأبيات السابقة، معبراً تعبيراً مغالطاً لما ورد في أصل النص .

4. السخرية : (Irony)

قد يلجأ الشاعر إلى السخرية عن وعي وتعمُّد، فقد تكون السبيل الأوحد لتصوير حالة ما، فهي تمتلك بُعداً نفسياً خاصاً لدى المبدع والمتلقي، قد تشعر عند قراءتها أنك حيال نكتة أو نتفة أدبية، في إيحائها عدوانية أو كراهية، في باطنها حالات من اليأس والحزن والأنين الذي ينفذ إلى العقل والقلب معا .

هي «طريقة من طرق التعبير، يستعمل فيها الشخص ألفاظا تقلب المعنى إلى عكس ما يقصده المتكلم حقيقة، وهي صورة من صور الفكاهة، تعرض السلوك المعوج أو الأخطار، التي إن فطن إليها وعرفها فنَّانٌ موهوب تمام المعرفة وأحسن عرضها تكون حينئذ في يده سلاحاً مميتاً» (حسين، 1978 : 13).

وما الصور الكاريكاتيرية التي نراها على صفحات المجلات إلا نوع من هذا النسيج الأدبي الصامت الساخر، ولا يستبعد أن يكون مطر اكتسب هذه الموهبة من زميله وصديقة ناجي العلي الرسام الكاريكاتيري الموهوب، أو على الأقل كان له يد في تطورها عنده.

وقال كاتب آخر «هي طريقة في التهكم المرير والتَّنَدُّر أو الهجاء، الذي يظهر فيه المعنى بعكس ما يظنه الإنسان، وربما كانت أعظم صور البلاغة عُنفاً وإخافةً وفتكاً» (حسين، 1978 : 14).

وقد أبان المازني عن أن الهزل، الذي تتسم به السخرية إنما يحمل في باطنه الجد، وأن الساخر لا يقصد إلى الهزل في ذاته، فإن هزله أبداً مبطنٌ بالجد (المازني، 2012: 252)، ويعبر عن حالة نفسية داخلية للشاعر، تحمل بواعث ودوافع مقصودة .

ولا يغيب أن للشاعر أحمد مطر منتدى يسمى (الساخر)، له فيه لقاءات مع الموقع، رد فيه على أسئلة بعض السائلين عن سخريته وغربته ووطنه ونضاله .... وغيرها .

فقد يظهر مطر هادئا من الخارج عند سخريته، وفي باطنه بركان يغلي من الحزن والغضب، يحدثنا في حوار ساخر عن اليهود في علاقتهم بأصحاب الديار من الفلسطينيين: أن اليهود قرروا ألا يعطوا الفلسطينيين سوى شبرين من أرضهم: أحدهما للشرطة، والآخر للمسلخ لتوضع فيه أسلحة الحراسة، فيقول في قصيدته بعنوان «الدولة»: (مطر،2011 :198)

قَالتْ خَيْبرْ
شبران .. ولا تَطلُبْ أكثَرْ
لا تَطمَعْ في وَطَنٍ أكبَرْ
هَذا يَكفي
الشُّرطةُ في الشِّبرِ الأيمَن
والمسلَخُ في الشِّبْرِ الأيسَرْ
إنَّا أعطيناكَ " المخفَرْ "!
" فَتَفَرَّغْ لحمَاسِ وانحَرْ "
إنَّ النَّحرَ على أيديكَ ..سيَغدُو أيسَرْ

إن تناول الشاعر للكلمات القرآنية بهذا الأسلوب الساخر دون مراعاة منه قداسة النص، أو المحافظة على أصله دون قلب أو خلط ، ومع ما تحمله الأبيات من مخالفة دينية لجرأة الشاعر على النصوص القرآنية ، إلا أنه يصور وجوه التناقض على أرض الواقع، فالمالك لا يملك ، والمحتل يسيطر.

وفي قصيدة أخرى بلغ الشاعر مبلغا كبيرا في السخرية بالحكَّام، سخَّر كل طاقاته الإبداعية والفنية في الوصول إلى هذه الغاية ، فاختار منذ البداية عنواناً ساخراً «وَصَايَا البَغْلِ المسْتَنيْرِ» جاعلاً البغل المستنير ناصحاً للبغل الفتيِّ ، ولكنه تجاوز الحدود، وتعدى خصائص التقديس، ففيها يتناول نبيّاً من الأنبياء في موطن استخفاف، واستهزاء وسياق ساخر هزلي، فيُسيء توظيف النص متعمداً ذلك لغرض خدمة مناخ قضيته، وترويج بضاعته المطروحة، وفكرته في الإسهام الوطني دون أدنى مراعاة لموروثه الديني، مخالفاً بذلك كل مقاصد العقيدة ورؤى الشريعة، إذ كيف يجرأ على نقل الكلام على لسان بغل ينصح بغلا آخر، ولا شك أن التعمد في مثل هذه المواقف قد تضع الشاعر في دائرة الشك في معتقده، لعدم احترامه قداسة اللفظ، ووضعه في مواضع الامتهان والسخرية، فيقول: (مطر،2011 :199)

قَالَ بَغْلٌ مُسْتَنيرٌ وَاعِظاً بَغْلاً فَتِيّا :

يَا فَتَى اصْغ إلَيّا ..
إنَّما كَانَ أبُوكَ امْرأ سَوْء
وكَذَا أُمُّكَ قد كانتْ بَغِيّا
أنتَ بَغْلٌ
يَا فَتى .. والبَغْلُ نَغْلٌ[1]
فَاحْذَرِ الظَّنَّ بأنَّ اللهَ سَوَّاكَ نَبِيّا
يَا فَتَى .. أنتَ غَبِيٌّ
حكمةُ اللهِ ، لأمرٍ ما، أرادَتْكَ غَبِيّا
فَاقبلِ النُّصْحَ
تَكُنْ بالنُّصْحِ مَرضِيّا رَضِيّا

فكان لابد على أحمد مطر أن ينتقي شخصياته المُعبِّرة عن مواقفه، «لذلك لم يأت التواصل بشخصيات الأنبياء عشوائيا، بل برز فيه عنصر الانتقاء بحيث تنجح الشخصية المنتقاة في التعبير عن أبعاد التجربة والمعاناة التي يمر الشاعر بها على الصعيدين الفردي والاجتماعي» (الخضور، 2007: 58).

(1) والنَّغْلُ: يقال نغُل المولود: إذا ولد عن زنى، وولد نغِلٌ: فاسد النسب، ونغل الجرح: فسد.

فلقد استخدم الشاعر شخصية عيسى – عليه السلام – استخداماً مغالطاً، سالكاً طريقاً يتعارض مع النص الأصلي في السياق القرآني، وكأنه يعيد قصة قديمة امتصَّ أحداثها ليصوِّر موقفاً عصرياً اندلع بداخله، أراد أن يحكي عنه بأسلوبه وفلسفته في ظل المقاومة، فيستعيد أحداث القصة في صورة مقلوبة الأبعاد لتجسيد قضيته .

فكان على أحمد مطر أن يجعل «الدين في هذا السياق نظاماً تصويرياً رمزياً يبلوره الذهن للتكيُّف مع مجموع القيم المشتركة» (أكوافيفا، وإنزوباتشي، 2011: 66)، ولكنه لم يفعل، لذلك جاءت هويتُه الدينية مُشَتَّتةً، رغم إثرائها وتعاظم دلالتها الثورية.

ويستمر تجرُّؤ الشاعر فيتعمد محاكاة النسق القرآني، وعرضه داخل نظمه الشعري في صورة متشابكة متلاحمة مع تغيير دلالته في نسيجه الأصلي دون حاجةٍ إلى مثل هذه التبادلات أو التلاحمات، فيستمر في السخرية من الحُكَّام، فيقول في قصيدة بعنوان «إِنْصَافُ الأَنْصَاف»: (مطر،2011 :160)

الأسى آس لما نَلْقَاهُ
والحزنُ حَزِينْ
نَزرَعُ الأرضَ .. ونَغفُو جَائعينْ
نَحمِلُ الماءَ ... ونَمشِي ظَامِئينْ
.....
وَأميرُ المؤمنينْ
مُنصفٌ في قِسْمَةِ المالِ
فَنصفٌ لجواريه
ونَصفٌ لَذَوِيه الجَائرينْ
وابنُهُ – وَهْوَ جَنينْ–
يَتَقاضَى رَاتباً
أكبرَ من راتبِ أَهْلِي أجمعينْ
في مَدَى عَشْرِ سِنِينْ
رَبَّنا .. هَل نحنُ من مَاءٍ مَهِينْ
وابنُهُ من بيبسي كُولا ؟!
رَبَّنَا .. هَلْ نَحنُ من وَحلٍ وَطِينْ
وَابنُهُ من « أسْبِرِينْ «؟.
رَبَّنا .. في أيِّ دِينْ
تَملكُ النُطفَةَ في البَنكِ رَصيداً
وألوفُ الكَادحينْ
يَسْتدينونَ لِصَرْفِ الدَّائنينْ ؟

فكثيراً ما يُهاجم أحمد مطر القادة ويهجو تخاذلهم ومساندتهم للاحتلال ، مستنداً على آيات قرآنية كضرب من ضروب الإقناع، محرِّفاً معناها ومناقضا لمحتواها، معتقدا وظيفة يريد بها تقوية النص، فـ «الأدب بكل مكوناته الشعرية والنثرية لم يكن بمنأى عن أجواء المقاومة وتجلياتها...في الوقت الذي فضح فيه الوجه البشع للاحتلال، وسياسته التدميرية، وانتقاد مفاسد الواقع، وانحراف القادة عن الهدف» (حمدان، 2002 : 82).

فالقصيدة هنا تعبر عن وضاعة الفعل وتحقيره، وتبرز السخرية في صورة تناصية منحرفة، تتباين أهدافها الاجتماعية عن طريق انعكاس الأحاسيس والخيالات داخل الشاعر .

«إن السخرية حس أصيل في الإنسان، قد تبرزها العوامل الخارجية موهبة، إن استثمرها صاحبها ووجهها الوجهة الأدبية التي تستحق، والمتلقي من جهة أخرى، يكون طرفا آخر في إبداع السخرية، فلابد له من تملك الحس الساخر ومعرفة مراميه، لتكتمل لديه اللوحة الساخرة، بكل ظلالها وتفاصيلها» (العفيف، 2016: 2445).

5. القلق والاضطراب :(Stress and disorder)

كان الاضطهادُ، والمطاردة، والاغتراب من الدوافع التي أدَّت إلى التوتر، والاضطراب عند مطر، فحاول إثبات ذاته عن طريق المخالفة الحقيقية للنص القرآني؛ للفت الانتباه أو للرد بقسوة عما في نفسه من توتر وقلق.

والقلق ينشأ حين يكون «الأنا» تحت الضغط، فالقلق الحقيقي هو الخوف من مخاطر الحياة، وهو كعلامة تحذير يخدم الشخص، ويعلن أن الموقف داخل الشخصية ليس كما ينبغي أن يكون (زارع، و كوثري، 2018: 410).

ففي قصيدة «عَلامَات عَلى الطَّرِيق»، يعبر عن التيه والقلق ، مصوراً مشهداً أمام جحافل الغزاة، الذين قمعوا الحريات، فيقول: (مطر،2011 :41)

تُهْتُ عَن بَيتِ صَدِيقي
فَسَألتُ العَابِرِينْ
قيلَ لي : امْشِ يَساراً
سَتَرى خَلْفَكَ بعضَ المخبرينْ
حدْ لَدى أوَّلهمْ
سَوفَ تُلاقي مُخْبراً
يَعْمَلُ في نَصْبٍ كَمينْ
اتَّجِهْ للمخبرِ البَادي أمَامَ المخبرِ
الكَامِن
واحْسَبْ سَبعةً ... ثمَّ تَوَقَّفْ
تَجِد البَيتَ وَرَاءَ المخبرِ الثَّامِنِ
في أَقْصَى اليَمينْ
حَفِظَ اللهُ أميرَ المُخبرينْ
فَلَقَدْ أَتْخَمَ بالأَمْنِ بِلادَ المُسلمينْ
أيُّها النَّاسُ اطمَئِنُّوا
هذه أبوابُكُم محروسةٌ في كُلِّ حِينْ
فادْخُلوها بسلَام .... آمنينْ !.

فالشاعر هنا يُوصلُ الإحساس الداخلي بحلقات ربط خارجية، ماثلة في الاضطراب الذي يمثل الإدراكات الحسية الخارجية، من خلال اللفظ الخارجي الذي يعبر به الشاعر عن حالته الوجدانية بالصورة اللفظية، فلقد «أصبح الدور الذي تلعبه الصورة اللفظية واضحا، فبوساطتها تتحول العمليات الفكرية الداخلية إلى إدراكات حسية ...وفي بعض الأحيان تزداد شدة الشحنة النفسية الخاصة بعملية التفكير، وفي هذه الحالة تُدرَك الأفكار في الواقع – كأنها آتية من الخارج – وهي تؤخذ تبعا لذلك على أنها إدراكات حسية حقيقية» (فرويد،1982: 39 – 40).

وفي قصيدة عنون لها بآية من آيات القرآن الكريم ﴿أَيْنَ المَفَرُّ﴾، يقول معبراً عن الاضطراب النفسي بسبب فقدان الإرادة، فكل

شيء مُؤَمَّم حتى القضاء والقدر: (مطر،2011 :43)

لَيْسَ منَ الموْتِ مَفَرْ
يَا رَبَّنَا
لا تَلُم الميتَ في أوطاننَا إذا انتَحَرْ
فَكُلُّ شَيءٍ عندَنا مُؤَمَّمٌ
حتَّى القَضَاءُ وَالقَدَرْ !

ويقول في قصيدة أخرى يملؤها القلق والاضطراب بعنوان «يوسف في بئر البترول «مستخدماً قصة يوسف عليه السلام في عرض قضيته، معبراً باللفظ القرآني ودورانه في القصة، ناقلاً للمعنى من حقيقته إلى معنى جديد...:(مطر،2011 :92 – 93)

سَبعُ سنابلَ خُضْرٍ من أعوامي
تَذوي يَابسةً
في كفِّ الأملِ الدَّامي
تضحكُ صُفرتُها من صَبري
وتموتُ فتَحيا آلامي
يا صاحبَ سجني نبِّئني
ما رُؤيا مأساتي هذي ؟!
فأنا في أوطان الخير
مَمنوعٌ مُنذ الميلاد منَ الأحلام
وأنا أسقي ربيِّ خَمراً
بيَدي اليُمنى
ويدي اليُسرى تتلقى أمرَ الإعدام

فالقلق والتوتر من البواعث التي أوغلت صدر الشاعر، فقمع الحريات، والقهر والاضطهاد، والخوف وعدم الشعور بالأمان ... وغيرها من الأمور التي داهمت الشاعر في كل مكان، جعلته يعيش حالة نفسية مضطربة، لا يشعر معها بالانطلاق أو السعادة التي تفتقدها لافتاته بسبب السنين العجاف التي تعيشها أمتنا الإسلامية.

فـ «الهو» إذا سيطر على الإنسان، ووافق اتجاهه النفسي وشعوره الداخلي، صنع المخالفات وجاء بالمهاترات دون أن يُبالي أو يراعي قداسة أو تراث أو أعراف أو تقاليد، فلقد وظَّف الشاعر قصة يوسف عليه السلام مع ما تحمله قصته من هجاء وسباب توظيفاً مخالفاً لقداسة القرآن الكريم .

ومع ما بها من صورة شعرية تحمل وجدانيات ملتهبة، إلا أنها تُعبر عن تحوُّل الشاعر من المعنى القرآني الغائب (البعيد) الذي يدل على قصة السيارة مع يوسف عليه السلام، إلا أن السيارة هنا (الحاضر) لا تعبأ به، بل تنهب خيراته وتتركه يدمي، وهو تصور فريد لتحوير المعنى ومفارقة الأصل إلى الضد .

فالشاعر هنا أساء تارة إلى النص القرآني وأحسن تارة أخرى، فـ « هناك توظيفات جاءت إيجابية ومنسجمة مع سياق القصيدة وكأنها لبنة من لبناتها، وأدت دورها في تعميق التجربة، وإكساب الموقف والشخصيات مزيداً من التكثيف والإيحاء، وهناك توظيفات أخرى وردت سلبية وسخيفة، لم تخدم فاعلية السياق أو الموقف على الصعيد الدلالي، فقصرت عن بلورة مواقف الشعراء، ورؤاهم الإنسانية» (ضرغام، 2009: 11).

المحور الثالث: الجانب الفني

لقد شاع استخدام التناص بجميع صوره، التي أحرزت منزلة رفيعة في الأدب المعاصر واستخدمها كثير من الشعراء عنصراً فنيّاً يضفي على الشعر بهاءً وصفاءً ومصداقية، ولا ينكر منكر أن مطر انحرف بتناصه، واستحضر بنصوصه المختلفة فضاءً جديداً أو علاقة توالدية مشفوعة بوجهة جديدة تدفعنا إلى النظر إلى ما تحمله هذه المعاني ومدى فاعليتها إيجاباً أو سلباً اتفاقاً أو اختلافاً، ولقد تعددت مصادر التناص وعناصره لديه بحكم تنوع المصادر التي نهل منها .

ومن أهم هذه المصادر :

1. **الأثر الديني: الذي يتمثل في** :

أ. **القرآن الكريم**: فالقرآن الكريم مصدرٌ غنيٌّ للتناص وللإلهام الشعري عند أحمد مطر على مستوى الدلالة والرؤية والمفارقة والانحراف.

ب. **الحديث النبوي**: سجل التناص في الحديث النبوي حضوراً غير بارز مقارنة بالتناص في القرآن الكريم.

ت. **قصص الرسل والأنبياء**: لقد شكلت القصة القرآنية منبعاً ثرياً، وعطاءً متجدداً، وملاذاً خصباً لأحمد مطر في لافتاته الشعرية للتعبير عما يجيش بخاطره من أفكار؛ فلجأ إليها يستلهم معانيها وأحداثها المختلفة محاولاً ربط أحداث حياته المعاصرة بها مما يعطي أشعاره القوة والتأثير رغم المغالطة والمخالفة .

ث. **الشخصيات الدينية** : إن استدعاء الشخصيات الدينية من أبرز صور التناص الديني في لافتاته ، بما تحمله من أبعاد دلالية وفنية وقيم إنسانية ، وبما تمثله الشخصية الدينية كرمز ديني مقدس من حضور في وجدانه مع قدرته على انتقاء الشخصيات المؤثرة البارزة .

2. **أثر المخالفة في التأثير والتأثر** :

تأثر كثير من الشعراء في العصر الحديث بالأفكار المطروحة على الساحة المعاصرة، ورُبطتْ محنةُ الإنسان بالخطاب الديني والإغراق في التأمل الدلالي بوصفه رمزاً من رموز المصداقية، فاستوحى أحمد مطر، وأحمد دحبور، وصابر عبد الدايم الأسلوب القرآني لتصوير ذلك، فاختاروا نصاً من سورة «العصر»، ثم انتقل كل منهم إلى سياق آخر في سورة أخرى ، مع خلط غريب بين السور، فينتقل مطر إلى سورة «التكوير»، ودحبور إلى سورة «الفجر»، متأثرا كل منهم بالآخر في صورة الانحراف المزدوج والتحوير المشترك، ويجمع مطر ودحبور قضية النضال الثوري، وعبد الدايم يرصد مسيرة الزعيم أحمد عُرابي، وتحديه للمستعمر الغاشم، والسلطة الظالمة، فيقول مطر في مقطوعته بعنوان «إنَّ الإنسانَ لَفي خُسْر» (مطر،2011 :42)

وَالعَصْر
إنَّ الإنسانَ لَفي خُسر
في هَذا العَصرِ
فَإذا الصُّبحُ تَنَفَّسَ
أذَّنَ في الطرقَاتِ نِبَاحُ كلابِ القَصر
قَبلَ أذانِ الفَجْر

ويقول «دحبور»:(دحبور، 1973: 110)

وَالعَصر
وَلَيَالي عمَّان الأَيلُولِيَّات العَشْر
لَن يَفرحَ بالماء الظَّمْآن
مَادَامَتْ بِئرُكَ هَذي البِئْر

وصابر عبد الدايم : في نهاية قصيدته «المنفى داخل الوطن» يقول: (عبد الدايم، 1983: 41)

نُقْسم .. نُقْسم .. ثم نَعْبُد
وَالعَصْر إِنَّ الإنسانَ لَفي خُسْر
إِلَّا مَنْ وصَّى بالحقِّ وَحَاربَ من أَجْلِ
النَّصر

فكل منهم أراد محاكاة الواقع وتصويره في أسلوب يحمل صورة تعكس نصاً تراثياً .

ويسلك مطر الدرب نفسه مشاركاً صابر عبد الدايم البُعد التجديدي، وما يدعو له أصحاب نظرية «الفن للفن»، في صورة تفتقر إلى البعد الديني، وتدعو إلى الاستغراب والتعجب، إذ كيف يجرؤ أي شخص على خلط كلامه بكلام الله تعالى، من أجل مقاومة، أو بُعد تجديدي، أو مشاركة الحداثة ؟! فيقول مطر في قصيدة بعنوان «لا أقسم بهذا البلد»(مطر،2011 :126)

وَالطُّورْ
والمخْبر المسْعُورْ
والحَبْل والسَّاطُورْ
ونَحْرنَا المَشنوق والمنْحُورْ
خُطَى المنَايَا فيَ البَرايَا دَائرةْ

ويقول صابر عبد الدايم من قصيدة «الفزع الأكبر» :(عبد الدايم، 1983: 38)

وَالطُّور * وكتَاب مَّسْطُور * في رَقٍّ
مَّنشُور
وَالْبَيْت الْمَعْمُور * وَالسَّقْف الْمَرْفُوع*
وَالْبَحْر الْمَسْجُور
والشَّعب المقْهُورْ
والأَقْصَى المهْجُورْ
والقُدس المشْطُورْ
قَد جَاءَ الأمرُ وفَارَ التَّنُّورْ

فالنصوص الشعرية هنا تتداخل مع السرد القرآني، متضمنة بُعدا واقعيا يُعبر عن الشحنة النفسية المتجهة نحو القضية، وما تحمله من معاني القهر والذل في صورة دلالية جديدة .

ويتأثر صلاح عبد الصبور بالهجرة النبوية من مكة إلى المدينة، سالكاً درب أحمد مطر في انتزاع المعاني، والخروج عن المضمون، وتحوير الحادثة، وامتصاص دلالة المخالفة من بين الأحداث ، فيقول صلاح عبد الصبور :(عبد الصبور، 234 – 235)

لم أَتخيَّرْ وَاحداً من الصَّحَاب
لكَي يفْديني بنَفسه
فَكُلٌ مَا أُريدُ قَتلَ نَفسي الثَّقيلَة
ولَمْ أُغادرْ في الفرَاشِ صَاحبي يُضللُ
الطُّلاب
فَليسَ مَن يَطلبني سوَى «أنَا» القَديم
سوخي إذَن في الرَّمل سيقَانُ النَّدَم
لا تَتبعيني نَحو مَهجَري، نَشدتك
الجَحيم

ويقول مطر في قصيدة له سبقت : (مطر،2011 :49 – 50)

امض – إن شئْتَ – وَحيداً
لا تَسَلْ : أَينَ الرِّجالْ
كلُّ أصحَابكَ رَهْنُ الاعتْقالْ !

فالشاعران هنا يستوحيان قصة الهجرة في إطار مخالف، ليعبرا عن المأساة في صورة مقطع سلبي يحمل البعد القديم في شكل متناقض متأثر كل منهما بالآخر .

ويستلهم أحمد مطر شخصية نبي الله موسى – عليه السلام – في قصيدته «أقزام طوال»، فيتعدى كل جرأة ، ويأتي بما لا يليق أن يصف به إنساناً عادياً فضلاً عن كونه نبيًّا من أنبياء الله له من التبجيل والتوقير والاحترام ما له، متأثراً بالدوافع الغريزية تجاه قضيته العدوانية، التي كُبِتَتْ في اللاشعور تَقِيَّةً ، فلجأ إلى طرائق أخرى للتنفيس عنها، «فالدوافع الغريزية في الواقع ما هي إلا ناتجٌ عن حالة من التوتر ينتج عنها إحساس بالألم» (فرويد،1982: 18)، ويشاركه في هذا التوظيف الشاعر «نزار قباني» في قصيدته «منشورات فدائية على جدران إسرائيل» كاسراً كل حدود التقديس، يقول مطر: (مطر،2011 : 76)

وَمُوسَى فَلَقَ البَحْرَ بأَشْلاء العيالْ
وَلَدى فرعونَ قدْ حَطَّ الرِّحَالْ
ثُمَّ ألقَى الآيةَ الكُبرى
يداً بَيضاءَ ... من ذُلِّ السُّؤالْ
أَفْلَحَ السِّحْر .

يقول نزار :(قباني، 1983: 11)

لأنَّ مُوسَى قُطعتْ يَدَاه
ولمْ يُتقنْ فَنَّ السِّحْر
لأنَّ مُوسَى كَسرتْ عَصَاه
ولَمْ يَعُدْ بوسعه شَقَّ ميَاهَ البَحْر
لأنَّكُم لَستُمْ كأَمْريكَا وَلَسْنَا كَالهنُود
الحُمْر
فَسوفَ تُهلكُونَ عَن آخركُمْ
فَوقَ صَحاري مِصْر .

فمع مخالفة هؤلاء الشعراء، إلا أنهم أرادوا الاستناد على أدبيات وقواعد حية تقوم بتحريك بواعث الشعوب .

3. **الانحراف في الشكل** :

يتمثل الانحراف هنا في عناوين القصائد والعناوين العامة التي أطلق عليها اسم (لافتات)، وهي تحشد طاقة ثورية، وإشعال نيران المقاومة، وهذه المسميات جديدة في عالم الشعر تشير من طرف خفي إلى خطورة القضية، وما تحمله من رمزية وإيحاء، وما تتكبَّدُه من هموم وأحزان حقيقةً ومضموناً.

ومن المستهجن أن يعنون بعض لافتاته بآيات قرآنية، كعنوانه «إنَّ الإنْسَانَ لَفي خُسْر» (مطر،2011 :42)، وعنوانه «أَيْنَ المَفَرُّ» (مطر،2011 :43)، وعنوانه «لا أُقْسمُ بهَذَا البَلَد» (مطر،2011 :126)، وبعض الآيات التي يجعلها عنوانا يحوِّر

في جزء منها، كعنوانه «إِذَا الضَّحَايَا سُئِلَتْ» (مطر،2011 :58)، وعنوانه «فبأي آلاء الشعوب تكذبان» (مطر،2011 :48)، فهو لا يقصد بالمخالفة ذاتَ القرآن الكريم، بل محاولة منه لمعالجة الواقع في صورة تجذب الانتباه وتلفت الأنظار، والشاعر في مثل هذه التناقضات يتبع «الهو»؛ لأن «الهو لا يتبع قواعد الأخلاق على الإطلاق» (فرويد،1982: 87)، فالعنوان هنا يعبر عن أبعاد نفسية أسيرة بألفاظ دينية مختارة بمهارة، تحمل لوناً من الانحراف والخروج الديني، وتحمل في الوقت نفسه مسحة ثورية في سياقات تعبر عن النفس والوجدان .

وقد يلجأ مطر أحيانا إلى تكرار صور تحمل المعنى نفسه، مستمداً لها من واقع حياته المؤلم المأسوي ، فتجده يفتتح لافتاته 1 بعنوان «مدخل 1/12، ولافتات 2 بعنوان «البيان الثاني 2/52 ، ولافتات 3 بعنوان «الفاتحة 3/102، ولافتات 4 بعنوان «المبتدأ 4/141، ولافتات 5 بعنوان «إلى من لا يهمُّه الأمر، ولافتات 6 بعنوان «قبل أن نبدأ 6/222، ولافتات 7 بعنوان «المنطلق 7/265، تتوالى العناوين التي تعبر عن معنى واحد في العقل الباطن، فله في بداية كل لافتة معنى تناص ، يحركه شعور داخلي قبل الظهور، يعبر عن رغبته الخفية – في كل مرة – عن تَمَنِّيهِ «بداية حياة جديدة» دون اضطهاد أو خوف أو مطاردة أو محتل أو مغتصب، ومدى انعكاس الأحاسيس والمشاعر والخيالات داخله ، لتشابه الأحداث وتكرار الأفكار، وإن اختلف نص التناص إلا أنه يحاول تعزيز فكرته ، وإن كان لا يهتم بالمخالفة أو المغالطة بين النص القرآني (الغائب) ونص التناص (الحاضر)، كأنه يريد تفريغ طاقته الشعرية دون النظر لما يسود النص من إساءة وعدم تقديس، معبرا عن حالته النفسية وما تحمله من كراهية وغضب داخل نسيج الشاعر النفسي، «فهو منقاد لضغط نفسي يدفعه لتكرار الحديث عن قضية مرة بعد مرة أخرى؛ ليجد في ذلك نوعاً من التفريغ والتنفيس عن همومه» (الكبيسي، 1982: 182).

فليست العوالم الخارجية فقط هي التي تصنع لافتات أحمد مطر، بل العوالم النفسية تعيد صياغتها قبل خروجها لعالم الواقع، في صورة يشعر معها المتلقي بمدى الحزن والمواساة والألم المتدفق من أعماق القلوب، فتكرار الألفاظ واضح عند الشاعر مع وضوح الكلمات ودقة المعاني .

4. **الانحراف في التفعيلات** .

ركَّز الشاعر على استعمال البحور ذات التفعيلات القصيرة التي تروق للشعر الحر وشعر التفعيلة، وهي البحور التي تحمل سواكن كثيرة لتسمح للشاعر بحرية التحرك وبساطة التَّنفُّس، فالزحافات والعلل كثيرا ما تدخل هذه البحور .

ومما يحمد لأحمد مطر في لافتاته التقيُّدُ بتفعيلة واحدة داخل القصيدة وإن كان لا يتقيد بعدد محدد من التفعيلات في الشطر الواحد (أو كما يقال السطر الواحد)، فنجد التفعيلة ، أو التفعيلتين، أو ثلاث تفعيلات في الأشطر المختلفة، وهذه سمات الشعر الحر، وبهذا يحافظ على الموسيقا الشعرية من خلال تكرار التفعيلة نفسها، وهذه التفعيلة التي تتكرر قد تكون :

1. فاعلاتن – بحر الرمل – ولقد ظهرت في العديد من قصائده التي تحمل تناصا دينيا منحرفا عن طبيعته الغائبة في الأصل ، كما في قصائده (أقزام طوال 2/75 – الأمل الباقي 3/123 – إنصاف الأنصاف 4/160 – وصايا البغل المستنير 5/199)، وغيرها من القصائد.

2. مستفعلن – بحر الرجز– ، كما في قصائده (أين المفر 1/43– إذا الضحايا سئلت 2/58 – إعجاز 3/107) ... وغيرها.

3. مستفعلن مفعولات – بحر السريع ، كما في قصيدتيه (قلة أدب 1/13 –رؤيا إبراهيم 1/23)

4. متفاعلن – بحر الكامل – كما في قصيدتيه (عاش .. يسقط 1/27 – فبأي آلاء الشعوب تكذبان 1/48)

5. مفاعيلن – بحر الهزج– كما في قصيدته (القرصان 1/25).

استطاع من خلالها أن يقدم تجربته، وينشر قضيته، ويتجاوز المآزق بسيطرة «الأنا» على مجريات التفعيلة، من خلال تجربته الخاصة وما يصنعه من (تضمين بلاغي) لتفعيلاته ، فتجد الشطر لا يستقل بتفعيلاته بل يحتاج إلى الشطر الذي يليه لاستكمال التفعيلة، نلاحظ ذلك في كثير من قصائده، منها على سبيل المثال، قصائد (القرصان – أقزام طوال – فبأي آلاء الشعوب تكذبان) وغيرها، يقول في القرصان: (بحر الهزج)

- البيت الأول : وَلكن قا / مَ عَبدُ الذَّا / تِ
  مفاعيلن / مفاعيلن / مـ
- البيت الثاني : يَدْعو قا / ئِلاً : صَبْرا
  ـفاعيلن / مفاعيلن

وفي قصيدة أقزام طوال : (بحر الرمل)

- البيت الأول : وَلَدى فر / عونَ قدْ حـطَّ/ الرِّحَالْ
  فعلاتن / فاعلاتن / فاعلاتْ
- البيت الثاني : ثُمَّ ألقَى الـ/ آيةَ الكُبـ / ـر
  فاعلاتن / فاعلاتن / فـــ
- البيت الثالث : يداً بَيـ / ـضاءَ مِن ذُلٍّ/ السُّؤالْ
  ـعلاتن / فاعلاتن / فاعلاتْ
- البيت الرابع : أَفْلَحَ السِّحْـ/ ـر .
  فاعلاتن / فـــ

وفي قصيدة «فبأي آلاء الشعوب تكذبان»: (بحر الكامل)

عَفَتِ الحَرَا / ئِقُ ..
متفاعلن / متـــ
أَسْبَلَتْ / أَجْفَانَها / سُحْبُ الدُخَانْ
فاعلن / متفاعلن / متفاعلان
الكلُّ فانْ / متفاعلان

حاول الشاعر معالجة قضيته متسلِّقاً الموسيقا العربية، متحرراً من قيود البحور؛ مما أعطاه فرصة الإبداع الفني، كما تحمل قصائده مساحة من الانفتاح العروضي تجعله في فضاء دلالي جديد، مشفوع بوجهة نفسية وشحنة داخلية غير مسبوقة .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وعلي آله وصحبه، ومن سار على دربه واقتفى أثره إلى يوم الدين . وبعد

إذا ما استعرضنا لافتات أحمد مطر الواردة في هذا البحث تطالعنا بعض النتائج والتوصيات ، منها:

1. حمل مطر على عاتقه القضية العربية ، فهي بؤرة الحدث الأهم الذي يريد التعبير عنه، رغبة منه في التأثير واستقرار المعنى في ذهن المتلقي ، فجاءت مخالفاته تحمل شحنة عالية وطاقة أكبر .

2. مال أحمد مطر إلى الشعبية في المعاني والأساليب والأوزان، والرغبة في السخرية والاستهزاء، وانحرافه الكامل من الفردية إلى الجماعية، وكثرة طرق المعاني السياسية والدينية والعقدية، وجنوحه إلى الهجاء الساخر «الكاريكاتيري «الذي شاع وانتشر في القرن العشرين .

3. جاء أحمد مطر بألفاظ قليلة نابية في بعض قصائده، وبتغَيُّرات إيمائية زجَّ بها في نصه الشعري خالطاً بينها وبين شحنته النفسية واللفظ القرآني المقدس .

4. شحذ الهمة في شعره إلى متابعة النضال، والمقاومة، وتعزِّيه بفقد بعض الأبطال والبلاد، والحث على البسالة واستمرار القتال والحماسة لاستعادة الأرض واسترداد المسلوب ، واستنهاض الهمم معتمداً على التناص القرآني المقلوب .

5. خرج جُلُّ شعره – شكلاً ومضموناً – عن أساليب الشعراء لولا أن البواعث في هذا العصر قد اختلفت عن بواعث القدماء، ولولا ذلك لخرج شعره عن الشاعرية .

6. عمد أحمد مطر إلى استدعاء اللفظ القرآني في سياق بيته الشعري مع التغيير والتحوير والانحراف أو التدخل الذي يمس قدسيته إلا أنه لم يقصد بالمخالفة ذات القرآن الكريم ، بل يعي جيدا ما يحرك شعور الشعوب، فقد كان حريصا على تناص الصورة مع صورة تراثية دينية لإقناع القارئ بالمضمون وتنبيهه لخفايا الأحداث التي من أجلها جاء التناص في صورته المقلوبة.

7. كان للافتات أحمد مطر دور فعال في نفسه، وفي إدراكه الداخلي بشعور المتلقي، فقد دعا إلى رفض الذل والمهانة، وأشار إلى مسؤولية الحكام تجاه الأمة، والسخرية والغضب والقلق، وغيرها من العوامل النفسية التي تركت أثرا نفسياً بسبب الشحنة الداخلية لدى الشاعر .

التوصيات :

1. ما زالت دلالات انزياحات التناص الديني وعدوله عن مرجعيته الدينية والتاريخية والقصصية إلى دلالات مستحدثة وسياقات جديدة مبتكرة مع تجنب الامتصاص المقلوب والاقتباسات المخالفة ، بحاجة ماسة إلى وضع الأصول التي يجب أن تراعى عند التطبيق ، وعلى الأديب المسلم ألا يتعدى بالاعتماد على المصطلح الغربي حدود كتاب الله تعالى.

2. إن التعامل مع التناص القرآني يجب أن يتسم بالحذر ، ويحتاج إلى ثقافة عالية متأنية من المبدعين في الاختيار الذي لا يتجاوز حدود التقديس والتدين مع مراعاة الانفتاح الدلالي المعاصر.

3. ما زالت هذه الظاهرة تحتاج إلى الدرس عند كثير من الشعراء المحدثين مثل أمل دنقل، ومحمود درويش، ونزار قباني، ومحمد الماغوط، وكثير من الشعراء المعاصرين أمثال صلاح عبد الصبور، وصابر عبد الدايم .

المصادر والمراجع:

- أكوافيفا، سابينو و إنزوباتشي. (2011م). علم الاجتماع الديني الإشكالات والسياقات، (ترجمة عز الدين عناية)، ط1، أبو ظبي: للثقافة والتراث.
- حسين ، طه. (1978). السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ط1 ، القاهرة : دار التوفيقية.
- حمدان، عبد الرحيم. (2002 م). التناص في مختارات من شعر الانتفاضة المباركة. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية ، 3: 412 – 440.
- الخضور، صادق عيسى. (2007). التواصل بالتراث في شعر عز الدين المناصرة، ط1، عمان : دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
- الخفاجي، ابتهال سامي. (2018). صورة الرفض في الشعر العراقي، "محمد مهدي الجواهري وأحمد مطر أنموذجا ". مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل ، (41) ، –1988 1993.
- خليفة، عبد اللطيف محمد. (2003). دراسات في سيكولوجية الاغتراب ، القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر.
- دحبور، أحمد. (1973). ديوان طائر الوحدات ،بيروت: دار العودة.
- زارع ، آفرين و كوثري، فاطمة. (2018). التحليل النفسي لشخصية عنترة في رحاب أشعاره . مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، 8 (4)، 403 – 429.
- ضرغام، عادل. (2009). في تحليل النص الشعري، ط1 ، الدار العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف.
- طه، فرج عبد القادر.(ب.د.ت). معجم علم النفس والتحليل النفسي، (د. ط)، بيروت : دار النهضة العربية.
- عبد الدايم، صابر. (1983). ديوان المسافر في سنبلات الزمن، (ط . د)، مصر: مطبعة الأمانة.
- عبد الصبور. صلاح ، ديوان أحلام الفارس القديم ،(دار العودة – بيروت، ط 3 ، د . ت).
- العفيف، فاطمة حسين. (2016). الجانب النفسي للسخرية في الشعر العربي المعاصر: محمد الماغوط ومحمود درويش وأحمد مطر نموذج. مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الجامعة الأردنية، 43 (3)، 2435 – 2447 .
- غنيم، كمال. (1998). عناصر الإبداع الفني ، ط1 ، القاهرة: مكتبة مدبولي .
- فؤاد، محمد والسلطان، ديب. (2004). الغضب والتمرد في شعر أحمد مطر، مجلة جامعة الأقصى ، فلسطين، 8 (1)، 1 – 39.

- فرويد، سيجمند. (1982). الأنا والهُوَ، (ترجمة محمد عثمان نجاتي)، ط 4، دار الشروق.
- قباني، نزار. (1983). الأعمال الشعرية الكاملة، ط5 ، بيروت: منشورات نزار قباني.
- القرآن الكريم .
- الكبيسي، عمران. (1982). لغة الشعر العراقي المعاصر، ط1 ، الكويت : وكالة المطبوعات.
- لا بلاش، جان. (1985). معجم مصطلحات التحليل النفسي، (ترجمة مصطفى حجازي)، المؤسسة الجامعية للدراسات .
- مطر، أحمد. (2011). المجموعة الشعرية، ط 1، بيروت : دار الحرية.
- المنصوري، حافظ كوزي عبد العال. (2012). التوظيف القرآني في شعر أحمد مطر، مجلة كلية الآداب جامعة الكوفة، 5 (13)، 70 – 108.
- المازني، إبراهيم عبد القادر. (2012). حصاد الهشيم، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

Translated References

- *Aquafiva, Sabino, & Inzobache .(2011.(Religious Sociology "Problems and Contexts",(translation: Ezz El-Din Enaya),1th , Abu Dhabi : Culture and Heritage edition*
- *Hussain, Taha. (1978).irony in Arabic literature until the end of the fourth century. ,1th , Cairo: Dar Al-Tawfiqiya., edition,*
- *Hamdan, Abd al-Rahim .(2002).Ttanasas in an Anthology of Poetry of the Moarta Intifada, University of Sharjah Journal of Sharia and Human Sciences, Vol. 3, 412-440.*
- *EL.khadour, Sadiq Issa.(2007).Communication with Heritage in the Poetry of Izz Al-Din Al-Manasrah, 1 th, Amman: Dar, Majdalawi for Publishing and Distribution edition.*
- *Khafji, Ibtihal Sami. (2018AD).The image of rejection in Iraqi poetry, "Muhammad Mahdi Al-Jawahery and Ahmed Matar as a model" , Journal of the College of Basic Education for Educational and Humanities / University of Babylon, NO 41, 1988-1993.1988-1993.*
- *khalifa , Abdel Latif Mohamed. (2003). Studies in Psychology of Alienation , Cairo : Dar Gharib.*
- *Dahbur, Ahmed. (1973). Diwan of the Birds of Units, Beirut : Dar Al-Awda.*
- *Zarea, Afrin, & Kothari, Fatima. (2018). Psychoanalysis of the Antara Character in the Rehab of His Poems, Journal of the Babel Center for Humanities, 8, (4) , 403-429.*
- *Dergham, Adel. (2009). The analysis Of The poetic Text, 1 th, EL.dar: the Arab for Science, publications of difference.*
- *Taha, Faraj, Abdul Qadir. (D.T. th). Lexicon of Psychology and Psychoanalysis, Beirut: Dar Al-Nahda Al-Arabiaiya.*
- *Abduldayem, Saber. (1983). The Court of the Traveler in Sanabelat al-Zaman, Egypt: Al-Amanah Press, E.d.*
- *Abdul Sabour, Salah. (D.T. th). Diwan of the Dream of the Ancient Knight, 3 th, Beirut: Dar Al-Awda.*
- *Afif, Fatima Hussein.(2016).The Psychological Side of Irony in Contemporary Arab Poetry: Muhammad Al-Maghout, Mahmoud Darwish and Ahmed Matar Model, Journal of Humanities and Social Sciences Studies, University of Jordan, vol. 43, No 3,2447-2435.*
- *Ghoneim, Kamal. (1998). Elements of Artistic Creativity,1Th, Cairo: Madbouly Library Edition.*
- *Fouad, Muhammad & the Sultan, Deeb. (2004). Anger and Rebellion in Ahmed Matar's Poetry, Al-Aqsa University Journal, Palestine, 8,(1),1-39.*
- *Freud,Sigmund. (1982).The Ego and the Passion,(Translated: Muhammad Othman Najati) , 4 th, Dar Al-Shorouk.*
- *Qabbani, Nizar. (1983).Complete Poetic Works, 5 th, Beirut : Nizar Qabbani Publications.*
- *The Holy Quran.*
- *Al-Kubaisi, Imran. (1982). The Language of Contemporary Iraqi Poetry,1Th, Kuwait: Publications Agency –Edition.*
- *Laplash, Jean. (1985). Lexicon of Psychological Analysis,(translation: Mustafa Hijazi), University Institute for Studies.*
- *Matar, Ahmad.(2011).The Poetic Collection ,1Th edition, Beirut: Freedom House.*
- *Mansouri, Hafez, Kouzi Abdel-Al. (2012). Quran Recruitment in the Poetry of Ahmed Matar, Journal of the College of Arts, University of Kufa, 5, (13) , 70-108.*
- *Al Mazni, Ibrahim Abdul Qadir. (2012). Hasad Al-Hashim, Cairo : Hindawi Foundation for Education and Culture.*